

الفصل الثالث

المهزاز التناسلي في المرأة

عندما تصل الفتاة الى دور المراهقة تطراً عليها ظاهرة ذات اهمية كبرى في حياتها . وهذه الظاهرة هي حدوث « الطمث » .

بين سن البلوغ وسن اليأس ، تصاب المرأة بنزف رحي خفيف كل ثمانية وعشرين يوماً ، ويدوم من خمسة الى ثمانية ايام . هذا هو الطمث . وظهوره في الابنة دليل على ان الطبيعة قد اعدتها لدورها في الحياة ، واصبح مبيضها قادراً على التبويض .

والتبويض يحدث مرة في الشهر ، فتنمو في المبيض حويصلة تسمى « حويصلة غراف » . وكلما كبرت هذه الحويصلة اقتربت من حافة المبيض فتنفجر وتخرج منها بويضة تلتقطها قناة « فيلوب » بواسطة فوهة القناة المشرشرة

وتقذف بها الى داخل القناة . ويرافق هذه العملية تضخم
في حائط الرحم المخاطي ، ثم يعقب هذا التضخم اندثار
الحائط المذكور اندثاراً جزئياً فيحصل النزف المسمى طمثاً .
اما اذا التقت البويضة وهي في القناة بنطفة منوية بعد
جماع المرأة مع الرجل ، فيحصل من هذا الالتحام حمل ،
فتصبح الجرثومتان جرثومة واحدة هي نواة الجنين . ثم
تنتقل هذه الجرثومة الموحدة الى جوف الرحم بواسطة خيوط
ميكروسكوبية في حائط القناة الداخلي . ويقف الطمث
طوال مدة الحمل من تأثير « الجسم الاصفر » المتكوّن في
حويصلة غراف بعد ان تغادرها البويضة ، اذ يمتلئ جوف
الحويصلة بدم متجمّد وكرّيات من الحائط المخاطي . وهذا
الجسم الاصفر يدوم كل مدة الحمل بعكس الجسم الاصفر
المتكوّن من حويصلة لم تلتقح ، اذ ان هذا الاخير يمتص
بمدة لا تزيد عن يومين او ثلاثة ليتكوّن غيره في
الشهر التالي.

والطمث ظاهرة الانوثة الحقيقية . والابنة التي تحرم منها
« خنثى » ذات عاهة خلقية لا تصلح للحبل ولا للتوليد .

ومع ان الطمث يظهر في الرحم غير ان عملياته يقوم
بتدبيرها المبيض الذي يفرز مادة « هورمونية » تسمى

« اوسترين » هي الدافع لحدوث الطمث . والمبيض لا يفرز هذه المادة الا بناءً على تفاعل بينه وبين بقية الغدد الصماء لا سيما الغدة النخامية والغدة الدرقية .

والطمث حادث فيزيولوجي بحت . غير ان فيزيولوجيته ليست سبباً لاهمال امره وعدم الاهتمام به كي لا ينقلب الى حالة مرضية . فالابنة ابان الطمث يلزمها من العناية والوقاية والنظافة الموضعية الخاصة ما يمكن صرف النظر عنه عندما لا يكون . هي بحاجة الى راحة نوعية ، ان في اشغالها او في رياضتها او باتقاء التغيرات الجوية . وقد يأتي الطمث ويذهب دون وجع او ازعاج . ولكن قد ترافقه احياناً آلام في الظهر وفي اسفل البطن وانزعاجات مختلفة ، كازدياد في كمية الدم او عدم انتظام في مواعيد ظهوره الخ . كل هذه الاشتراكات لا يجوز السكوت عنها ، ويجب ان يستشار الطبيب بشأنها . اما الاعتقاد المتفشي في كثير من الاوساط الشرقية انه من العيب ان تكون اشتراكات الطمث دافعاً لاهتمام الابنة وعائلتها ومداواتها ، فهو اعتقاد باطل بل اعتقاد مجرم . فكم من ابنة اهملت هذه الناحية تمسكاً بالتقاليد البالية وهرباً من العيب الوهمي ، فكانت النتيجة وبالأعلى عليها وعلى صحتها ومستقبل حياتها .

ان للجهاز التناسلي والجنسي في الفتاة ، وهو بحالة التحفز للعمل ، لأكبر تأثير عليها . وكل وظائف الجسم تتأثر به وتعتل باعتلاله . اما استقراره فيساعد على استقرار وظائف مختلف الاجهزة الحيوية .

ما هي الاعضاء التي يتألف منها الجهاز الجنسي في المرأة ؟

يتكوّن الجهاز الجنسي في المرأة من بضعة اعضاء يقع معظمها في المنطقة السفلى من البطن . وهذه الاعضاء تعمل في ميدان واحد ويساهم واحدها مع الآخر مساهمة تجعل من جميعها شركاء في رأس المال وفي الجهاد وفي الارباح . فبينما الواحد يكوّن البويضة ، اذا بالثاني يحملها في ميعادها لتتحد مع النطفة المنوية من الرجل ، والثالث يؤوي الحليّة المتكوّنة من هذا الاتحاد ، فتعيش فيه وتربو جنيناً مدة عشرة اشهر قمرية ، واذا بالرابع يغدّي الوليد ويهيء له اسباب الحياة . هكذا كل عضو يعمل عمله ، ويهيء للدور الذي سيعمله العضو الثاني ، والكل مشترك في الاجر والثواب عندما يظهر للوجود هذا الكائن الحيّ المسمّى انساناً .

فالجهاز الذي يتوقف على عمله بقاء الجنس البشري ، والذي يقدم هذا المخلوق العجيب الذي انتزع من الطبيعة

قوى مختلفة استعمالها لخدمته ، وهذبها لتكون طوع ارادته ،
والذي استقوى على كل ما دبَّ على الارض وعلى كل ذي
حياة فيها ، والذي استخدم عناصر الطبيعة لمآربه وغاياته ،
والذي اكتشف سرائر الوجود ، وابتدع الالوهيات من
اللاوجود ، هذا المخلوق الذي اوجدته الطبيعة فعقَّبها ، وغزا
عناصرها ، واستخدم قواها ، واستعمر ارجاءها ، واستثمر
خيراتها ، هذا المخلوق ، ابن الطبيعة ومهذبها ، صنيعتها
ومروضها ، كيف وجد ، وكيف تروّى ، ومن احاطه
بعنايته ؟ كل هذه الامور يجب ان يعرفها المجتمع الراقي
لا سيما المرأة التي لها اليد الطولى والدور الالم في تحضيرها
وتنسيقها .

ان المرأة اذا لم تكن هي وحدها علّة وجود الانسان ،
فهي مهد نشأته . ففي احشائها تكوّن ، ومن دمها
تغذّى ، ومن صميم حياتها انتزعته القدرة انساناً ليكمل
عمل الانسان

فاليلك ايها القارئ وصفاً مختصراً لهذا الجهاز العجيب
ولعله الاعجب :

ان الاعضاء الاساسية في هذا الجهاز هي : المبيض ،
الرحم ، قناة فيلوب ، المهبل ، الثدي ومع ان هذه

الاعضاء ذات علاقة وثيقة بغيرها ، ومع ان انجاز عملها يتطلب مساهمة غيرها من الاعضاء ، غير انها وحدها تعرف بالاعضاء الجنسية والتناسلية . ولذلك نكتفي بوصفها كي لا نرمي القارىء في يَمٍّ من الابحاث الطبية التي يصعب عليه ادراكها ، ولربما اضاعت عليه فهم ما يجدر به ان يكتفي بمعرفته .

المبيض

هو عضو ، او بالاحرى غدة صماء بحجم اللوزة ، يقع في اسفل البطن ، واحد على الجهة اليمنى وآخر على الجهة اليسرى من الرحم . وهو ضمن طبقة من الرباط العريض تحت القسم الاعلى من قناة فيلوب . والمبيض عند المرأة يقابل الخصية عند الرجل .

وظيفته على نوعين : النوع الاول تناسلي ، وهو افراز وتجهيز البويضة التي باتحادها مع نطفة الرجل تكون الجنين . والنوع الثاني بث افرازات داخلية في الدم لها تأثير عام في نمو الجسم .

والمبيض لا يقوم بوظيفته التناسلية مدى الحياة . فهو يعمل فقط في اثناء الحياة التناسلية ، اي بين سن البلوغ

وسن الانقطاع او سن اليأس . ففي هذه الاثناء ينمو في المبيض
الوف عديدة من البويضات ، غير ان ما يصل منها الى
البلوغ لا يتجاوز بضع مئات . اما التي تحظى ببركة التلقيح
فلا يتجاوز عددها العشرين او الثلاثين . ولولا ذلك لتكاثر
الجنس البشري تكاثر النمل ، وازدادت بذلك مصائب الانسان ،
ومطامعه ، ومزاحماته ، وحروبها ، وويلاته . تباركت
الطبيعة ، ما ادهش اعمالها ، ان في كل منها حكمة رائعة .
اما كيف تبلغ البويضة ، وكيف تنفجر ، وكيف
تتلقح ، فقد ذكرناه في حديثنا عن الطمث .

الرحم

هي عضو اجوف ، ذو حيطان قوية ، مشتملة على ثلاث
طبقات : طبقة داخلية غشائية تحوي كثيراً من الغدد
الافرازية ، وطبقة وسطية عضلية ، وطبقة خارجية غلافية
مجتزئة من البريتون .

والرحم موجودة في اسفل البطن ، بين المثانة من الامام
والمستقيم من الورا ، وتتصل بالاثنين بواسطة تعاريج
بريتونية تجعل الرحم وامراضها واشتراكاتها ذات تأثير
على هذين العضوين وبالعكس .

وتقسم الرحم الى قسمين : العنق والجسم . يبدأ العنق بفوهة خارجية تظهر للعين عند وضع المنظار ، ثم يلي الفوهة الخارجية قناة العنق ، ثم فوهة داخلية تصلها بجسم الرحم . حجم الرحم ستة سنتيمترات طولاً قبل الحمل . اما بعد الحمل والولادة فلا يرجع الى اقل من سبعة سنتيمترات . اما عرضها فحوالى الاربعة سنتيمترات . وفي الصغار يأخذ العنق القسم الاكبر من الرحم .

تعمل الرحم عملها الحيضي كل ثمانية وعشرين يوماً ، فتحقق بطانتها الداخلية وتنتفخ ، ثم تندثر اندثاراً جزئياً ويحدث الطمث ، الذي يدوم في الحالات الطبيعية من ستة الى ثمانية ايام . وهذا العمل لا تقوم به الرحم الا بناء على ما يسبقه من بلوغ وانفجار حويصلة غراف في المبيض كما ذكرنا آنفاً .

وهنا الوظيفة الاكثر اهمية للرحم ، وهي انها عش الجنين ومأواه ، مدة عشرة اشهر قمرية . ولهذا تسميه العامة « بيت الاولاد » . فهي تحمله ، وتربيته ، وتغذيته من دم امه بواسطة المشيمة الملتزمة بجائطها . والرحم تكبر مدة الحمل يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر الى ان يبلغ قياسها الثلاثين الى الاربعين سنتيمتراً ووزنها الف غرام عوضاً عن

اربعين غراماً قبل الحمل .

والرحم سريعة العطب لما تتعرض له من أخطار واشتراكات أثناء الحمل والولادة او الاجهاض . فهي معرضة للاحتقانات والالتهابات المختلفة . ولا اظن ان عضواً من اعضاء المرأة يلزمه من العناية قدر ما يلزم الرحم . والسرطان ، هذا الداء الخيف الوبيل ، يفضل في المرأة رحمها . ولذلك على المرأة ان تتحقق من صحة الرحم وبقية اعضائها الجنسية من طبيبها ولو مرة في كل سنة . وليس من قبيل السفسطة قولهم في اللغة الانكليزية : « محور المرأة رحمها . »

قناة فيلوب

هما قناتان ضمن الرباط العريض ، واحدة من كل جهة ، تفتح من الطرف الواحد الى الرحم ، ومن الطرف الثاني الى التجويف البريتوني في البطن حيث تنتهي بفوهة مشرشرة الاطراف . وهذه الفوهة تلتقط البويضة بواسطة تموجاتها عندما تخرج هذه من حويصلة غراف المنفجرة لتقذف بها الى داخل القناة ، حتى اذا التقت هناك بالنطفة المنوية اتحدتا سوياً ليتكون من هذا الاتحاد الخلية الاولى ، نواة الجنين . وهذا الاتحاد يقع غالباً في الثلث الخارجي من القناة ، ومنه

تسير الحلية الى الرحم بواسطة فتوحات خيوط ميكروسكوبية على حائط القناة الداخلي . وهذه الخيوط دور هام في المساعدة على نقل الحلية ، اذ لولاها لبقى الحبل داخل القناة ، وهي حالة خطيرة تستلزم تدخل الجراحة لاستئصالها .

ولقناة فيلوب اهمية كبرى في حياة المرأة التناسلية . فمعظم الاوجاع التي تنتابها ، ان في اسفل بطنها او في ظهرها ، مسببة عن اصابة احدى القناتين او كليهما بعطب يسترعي الانتباه والمعالجة . ومتى انسدت القناتان لسبب من الاسباب تعذر على البويضة الانتقال ، وبالتالي الالتقاء مع النطفة المنوية . وهذا سبب من اسباب العقم . وانسداد القناة ليس بالامر النادر وقوعه . فهو ينتج عن التهابات رحمية تسربت الى القناة ، او عن التهاب بريتوني اشرك القناة باضراره ، او عن اورام ضاغطة في الجدار ، او عن اسباب اخرى متعددة . ومتى عرفنا ان اكثر اسباب العقم الاكتسابي هو نتيجة انسداد القناتين ، تبيّن لنا الدور العظيم الذي تلعبانه في حياة المرأة .

المهبل

هو قناة عضلية ، تبدأ عند الشفرتين ، وتنتهي عند الرحم حيث عنق الثانية يدخل فيها ويحاط بها . طوله من ثمانية

الى عشرة سنتيمترات ، حسب اختلاف طول المرأة وضخامة جسمها ، وما اذا كانت ولوداً ام لا . وظيفته انه واسطة الجماع بين الرجل والمرأة ، وهو يحوي في جدرانه غدداً افرازية لتبقيه طرياً . ومدخل المهبل قبل الزواج مغطى بغشاءٍ مخاطيٍ رقيق جداً يسمى « غشاء البكارة » ، وهو غشاء املس ، تخترقه ثقب متعددة ، يسري منها دم الطمث في الابنة . وقد تختلف هذه الثقوب في حجمها وشكلها ، وقد لا يكون هناك سوى ثقب واحد متوسع ، ولربما كان توسعه احياناً سبباً لعدم تمزقه اثناء الجماع الاول . وكما من مشكلة زوجية اثبتت في هذه الحالة . وبما لا شك فيه ان هذا الغشاء وسلامته لا يجوز ان يتخذ دليلاً قاطعاً على البكارة . والاطلاق الذي تجيزه العامة على اداة الفتاة في حالة عدم حصول نزف في الليلة الاولى من الزواج خطأ . فيجب على الطبيب الفاحص في هذه الحالات ان يدرس الامر بدقة ويعرف المخالقات والشذوذ الفني والتشريحي قبل ان يلفظ حكمه الجازم . وقد ذكرت حوادث عديدة كان فيها غشاء البكارة مفقوداً في الاصل .

التدبير

ان الثدي في المرأة عضو من الاعضاء الجنسية . فهو

يتأثر بمؤثرات الجنس ، ويحتوي على نسيج سريع التهيّج والتحمّس اذا ما ساورت المرأة انفعالات داخلية وحسيّة ، كما ان الثديين يشكلان عنصراً من عناصر الجمال فيها . وهو غير الثدي في الرجل الذي تحكم عليه الطبيعة بالضمور لعدم الحاجة اليه .

وللثدي دور هام جداً في حياة المرأة التناسلية . فهو يقوم بوظيفة حيوية ، الا وهي تغذية الوليد . وقيامه بهذه الوظيفة الهامة قد يعرضه احياناً لالتهابات صديديّة تستلزم التدخل الجراحي . ويتضخم الثدي اثناء الحمل والرضاعة ، وله تأثير عكسيّ على المبيض اذ يمتنع هذا عن التبويض اثناء الرضاعة فيسبب وقف الحيض .

والثديان غدتان كبيرتان في اعلى الصدر من الوجهة الامامية ، مركبتان من انسجة غدية اشبه ما يكون بعنقود العنب ، تفرز الحليب الى اقنية متعددة تتجمع كلها لتصب في حمة الثدي التي يمتصها الطفل لتعطيه من مخاريبها غذاء لحياته .

